شبح

بقلم : صبرية عبد الرزاق الحسو

لطالما حيرني ذلك الشبح . . يالله من شبح ترتسم على محياه علائم النبوغ والذكاء والشرف ولكن شبح من ؟ . . . لا أدري ، بل كلما أدريه أنه هو هو . . لا يزال ماثلا أمامي ، لا يفارقني . . ان سرت كان معي ، وان بكيت ناله البكاء . . وإن غفوت لا ينام بل تظل عيناه تحرسانني ، فأسبح في الأحلام آنذاك ، ولا حلم لي إلا صورته . . ثم أنهض فزعة ، وأفتح عيني ، فاذا به ينتشلني من عالم الاحلام ويهدىء روعي ، ولكن قلقي يزداد لأنني ما فزعت إلا من « الصورة » صورته ، واذا به نفسه يريد ان يزيل عني القلق فيزيده ! . . يالهول المصيبة . . من يكون الشبح ؟ — انك تعرفين من أكون ؟ . .

— من أنت ؟ . . لقد أقلقتني وحرمتني لذة النوم ، بالله عليك ، عرفني بنفسك لأنك أصبحت شغلي الشاغل . . ، ولكنه يطبق شفتيه . . بل يتألم فيؤلمني معه ، ويبكيني ثم سرعان ما يبكي حين يرى دموعي . .

أجل . . بكيت وأنا لا أعلم ابكيت لاجل نفسي شفقة عليها أم بكيت لاجله ، او منه ؟ إنه يعرف كل ما يجول بخاطري وكل ما أفكر فيه فيجيبني :

— ما بكيت يا هذه إلا لتجاهلك اياي . . ؟

فأراه على حق والزم الصمت كأنني أذنبت في حضرة استاذ لي ، ووقفت منكسرة الطرف ، أنتظر التعنيف ، ولكنه يندم عند ما يرى حالتي ، ويسأل عفوي كأنه أذنب وما هو من المذنبين . . فلا أرى سوى الالم يرهق على عينيه الحالمتين ، عينيه اللتين حرت في تفسيرهما ، وتهت في مجاهلها وهو لم يترك ذرة من حياتي . . حياتي المضطربة الحزينة . . إلا وعرفها . . وعرف كل شيء . .

فتاة ريفية ترتجف هلعاً امام موقد حافل بالبخور والعظام المهشمة .

لم يكن المعلم شاباً جباناً رعديداً على الاطلاق ، ولم يكن في قرارة نفسه يؤمن بالسحر وأضاليل المشعوذين ؛ ولهذا فقد صمم في عزم جريء على الانتظار ما شاء له الانتظار .

كان المشعوذ حينذاك يعمل في هدوء عجيب فلا يلقي باله الى الكوة أو الى الباب . وبعد دقائق يسيرة وضع القلم ازاء المحبرة ، ثم التفت الى الفتاة الهالعة وأنبأها بأن (العفريت سيرغم زوجها في الغد على محبتها . . وعلى كراهة ضرتها ايضاً) ثم قال « وان العفريت قد أمرني الآن ان أقضي معك وطراً لكي يشتد به اثر السحر » . . . وحينئذ مدّ قبضتيه الغاشمتين الى الفتاة محاولا طرحها على الفراش ، ولكن الفتاة كانت في الحق على جانب عظيم من قوة العفاف وناهيك بها انها لم تستسلم له على الرغم من هول البغتة ورهبة الكوخ !

ولعلها كانت تستشعر من وحي الغريزة بأنها اقوى منه دفعة عن نفسها حينذاك .

اما المعلم ، فقد انقلب في تلك اللحظة جذوة ملتهبة من الحماس وشهامة الطبع ، وكان لا بد له من انقاذ الفتاة . . فسدد مسدسه الضخم من الكوة ، وما هي الا طرفة عين حتى ارتج الكوخ ارتجاجاً مفاجئاً ، واذا بصرخة المشعوذ تنبىء بأنه قد اصيب .

واقتحم الكوخ من فوره ، فأبصر الفتاة منزوية ترتعد وراء صندوق كبير ، فعبس لها ، ثم أمرها بلهجة عنيفة ان تنصرف الى بيتها . . فأطاعت .

واستيقظ الفلاحون عند الفجر على حريق هائل يلتهم كوخ المشعوذ بأسره ، فلم يستطيعوا شيئا غير الأسف وغير الحزن من اجله ، فيا لهم من مساكين .

النجف

صدر الدين أحمد

مرت الايام وحب الاستطلاع يقض مضجعي ، وآلامي تتزايد ، وكلما زدت لجاجة زاد صبراً ، ولكن لهفته لم تكن باقل من لهفتي ، انما كان قادراً على اخفائها عني ، كأن يريد ان يعرفه كل شيء . .

وطالت ليلة علي ، لم أذق للنوم طعماً ، « الشبح » الحاني يرنو الي ، بشيء من الاستغراب والألم . بماذا تفكرين . . ألاتنامين ؟ .

فضحكت آنذاك ، ضحكة صفراء مؤلمة . ثم عاد يغمغم : أنا ذاتك الخفية ، أنا من يفهمك ويفهم روحك المتمردة ، التي عجز الناس عن فهمها . أنا من يوحي اليك ، ملهمك . . أنا من تحلمين به ، فهلا عرفت ؟

وما انتهى من حديثه ، إلا والعرق يتصبب من جبينه ، كأن قد أعياه الكلام . . أوباح بسر . وأنا صامتة أنظر الى ثغره النطق ، والى عينيه الحالمتين .

— أكتمي السر . ولولا تألمك وقلقك ، لما بحت بكل هذا لأنني قطعت يميناً أن لا أخبر أحداً بما أشعر ، وما أرى

— لم أعرف عنك شيئاً سوى انك « شبح » لازمتني ، منذ أن أحسست بالحياة ، وقد أخذت جانباً كبيراً من أفكاري ، وكنت كالظل لمن يلقيه ، ومسقني الحيرة ، وما كنت أرى انساناً أمامي ، إلا وتصورته « أنت » . . فتصورك شاعراً ، أديباً . ولكن لم أجدك بين الناس ، لأنهم ليسوا منك ، ولست اليهم تنسب ، واذا ما قرأت نفحة من الشعر الرفيع ، بعنوان مستعار لم اتصور غيرك لأن شبهاً قوياً بين ما أرى ورأيت . ولكن الآن فقط رأيتك أنت نفسك انساني وشبحي — أي أنت ؟ اهدني اليك ، لست أقدر على فراقك . ابق بجانبي أبداً . — لم يكتب لك سوى رؤيا الأحلام . انني بعيد عنك بجسمي وان كنت قريباً بروحي اليك ، فلا تتعبي نفسك بالبحث عن جسمي . حسبك ما تنالينه من هاته الاحلام ، فقد تزيد رؤيتي آلامك . وأخاف عليك الألم .

إيه ايها الشبح . ياملاكي الطاهر ، ياله من انسان رفيع ، ياله من شاعر حساس ، إنه يخشى علي ان اتألم ، أنا التي ما عرف الناس سر آلامي ، ولم يفهموا عذابي . والآن ألمح من يعرفها ، ويتألم لي . أفلا أزيد الحاحاً على معرفته ، ورؤيته ولو مرة واحدة .

— إنه بجانبي الان أي صدفة جانية مرت بي ، وجمعتني اليه ، لا . لا لم تكن صدفة . انها الطريق الى المجد ، الى الى الافق المشترك . ولم اكن أعلم انني التقيت بشبحي ، ولكن خياله جذب نظري ، فرأيت فيه صورة صديقي الشبح . . واذا به هو هو . بنبرات صوته ، بانشاده الفصيح بذكائه ، بكل شيء ، ولكنني صحت ، وأنا في غمرة من الذهول ، لا أصدق ما تراه عيني . .

أما هو فقد عرفني جيداً وتأكد مني ، ولكنه كان يلزم الصمت ، عن تعمد اوغير تعمد . لا أدري . آه . انه يتكلم . . انه يبوح بكل شيء اليه ، بما جرى بيني وبينه ، منذ زمان

ثم ماذا ؟ . أرى بجانبي من يفهمني وافهمه . أليس لي بل علي ، ان أنهى الليلة ساهرة ، لأروي ظمأي ، وأشبع هذا اللهم الثائر في قلبي . في روحي في كل مشاعري

— لا يابنت . لم يكتب لك سوى ان تحلمي بالرؤى . بالاشباح ، وأحسست باني في جحيم ، لا نعيم ، واذا بالشمس توقظني من هذه السنة وقد ازداد المي ، . لانني بحثت طويلا عن شبحي . . عن ملهمي . ولكن بلا جدوى

أنا صاحية الآن ؟ ! . ثم اطلقت ضحكة عالية في الفضاء يدفعها فؤاد مظلم . على أضغاث أحلام .

علي الغربي — صبرية عبد الرزاق الحسو

اقرأ في أول كل شهر

مجلة الاديب

فانها

مجلة الاداب والفنون والعلوم والسياسة والاجتماع

اطلبها بالعنوان التالي

بيروت . لبنان . صندوق البريد ٧٧٨